درس 96
غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارتها إلى الشام لتبيع وتشتري، فتمر في ذهابها وإيابها بطريق المدينة. ففي شهر جُمادَى الثانية من السنة الثانية للهجرة بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام في عِيرٍ كبيرة (وهم يسمون الرَّكْبَ الخارج بالتجارة عيراً) خرج بها أبو سُفْيان بن حَرْب في بضعة وثلاثين رجلا من قريش، فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في مائة وخمسين رجلا من المهاجرين فلم يُدْرِكْهُمْ، وتسمى هذه غزوة (العُشَيْرَة)، باسم وادٍ من ناحية بدر.

ولما علم برجوعهم من الشام خرج إليهم في العشر الأوائل من شهر رمضان في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، معهم فرسان وسبعون بَعيراً، وسار حتى عسكر بالرَّوْحاء، وهو موضع على بعد أربعين ميلا في جنوب المدينة.

وكان أبو سفيان حين قَرُبَ من الحجاز يسير محترسا، فلما علم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الطريق المسلوكة وسار بساحل البحر، ثم بعث رجلا إلى مكة ليخبر قريشاً ويستنفرهم لحفظ أموالهم، فقام منهم تسعمائة وخمسون رجلا فيهم مائة فارس وسبعمائة بعير، فلما علم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخروج هذا الجمع استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام، فارتحل بهم حتى وصل قريبا من وادي بدر، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة وأن قريشاً وراء الوادي، لأن أبا جهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدراً فَيَنْحَرُوا ويُطْعِمُوا الطعام ويَسْقُوا الخمور فتسمع بهم العرب فتهابهم أبداً.

فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادي (أي الشاطئ البعيد للوادي)، وسار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى نزلوا بالعُدْوَة الدُّنْيا من الوادي، ولم يكن بها ماء فأرسل الله تعالى الغَيْثَ حتى سال الوادي فشرب المسلمون وملئوا أَسْقِيَتَهم، وتلَبَّدت لهم الأرض حتى سَهُلَ المسير فيها، أما الجهة التي كان بها المشركون فإن المطر أَوْحَلَها، فتقدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم، وأمر ببناء حَوْضٍ يُمْلأُ ماءً لجيشه؛ كما أمر بأن يُغَوَّر ما وراءه من الآبار حتى ينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين، ثم أذِن لأصحابه أن يبنوا له عَريشاً (ما يستظل به) يأوي إليه، فبني له فوق تل مشرف على ميدان القتال.

فلما تراءى الجيشان، وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 17 رمضان من السنة الثانية للهجرة قام النبيُّ صلى الله عليه وسلم بتعديل صفوف جيشه حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، ونظر لقريش فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائِها وفَخْرِها تُحادُّكَ وتُكَذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني.

ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين، وهم عُتْبَة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شَيْبَة وطلبوا من يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال المشركون: إنما نطلب أكْفاءَنا من بني عمنا (أي القرشيين)، فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعُبَيْدَة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب، فكان حمزة بإزاء شَيْبة وكان عَبَيْدَة بإزاء عُتْبَة وكان عليّ بإزاء الوليد، فأما حمزة وعليّ فقد أجهز كل منهما على مُبارزه، وأما عُبَيْدَةَ فقد ضرب صاحبَه ضربة لم تُمِثْه وضربه صاحبُه مثلها، فجاء علي وحمزة فأجهزا على مُبارز عُبَيْدَة وحملا عُبَيْدَة وهو جريح إلى صفوف المسلمين، وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه.

ثم بدأ الهجوم فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من العريش يشجع الناس ويقول: **(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)**، وأخذ من الحَصْباء (صغار الحجارة) حَفْنَة (أو حُفْنَة) رمى بها في وجوه المشركين قائلا: شاهَتِ الوُجوه (أي: قَبُحَت)، ثم قال لأصحابه: شُدُّوا عليهم. فحَمِيَ

الوطيس (أي: اشتد القتال). وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر، فلم تَكُ إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين، ومن بين القتلى كثيرون من صَناديدِهم.

ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين، كما أمر بإلقاء قتلى المشركين في قليب (القليب: البئر) بدر، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا رضي الله عنهم.

بعد أن انتهي القتال في بدر ودفن الشهداء والقتلى؛ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم فجُمِعَت، وأرسل من يبشر أهل المدينة بالنصر، ثم عاد عليه الصلاة والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة، فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن في حكمهم من المُخَلَّفين لمصلحة، وحفظ لورثة الشهداء أسهمهم، وأما الأسرى فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستبقيهم ويقبل الفداء من قريش عَمَّن تريد فداءه، فبعثت قريش بالمال لفداء أسراهم، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم، ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعْطَوْهُ عشرة من غِلْمان المسلمين يعلمهم، فكان ذلك فداءه.

وكان من الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يُعْفِهِ من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مُكْرَهاً، وقد أسلم العباس عقب غزوة بدر ولكنه لم يظهر إسلامه إلا قُبَيْلَ فتح مكة.

وكان منهم أيضاً أبو العاص بن الرَّبيع زوج زَيْنَب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد افتدته رضي الله عنها بقِلادَتِها فرُدَّت إليها، واشترط عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُمَكِّنَها من الهجرة إلى المدينة فوَفَى بشرطه، وقد أسلم قبل فتح مكة، فرد إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم زوجته. ومنهم من مَنَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بغير فداء؛ كأبي عَزَّة الجُمَحِيّ الذي كان يثير بشعره قريشاً ضد المسلمين، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَفُكَّهُ من الأسْر على ألا يعود لمثل ذلك، فأطلقه على هذا الشرط، ولكنه لم يَفِ بعهده بعد، وقُتِلَ بعد غزوة أحد.

ومن قتلى قريش: أبو جهل بن هشام، وأُمَيَّة بن خَلَف، وعُتْبَة وشَيْبَة ابنا رَبيعة، وحَنْظَلة بن أبي سفيان، والوليد بن عُتْبَة، والجَرَّاح والد أبي عُبَيْدَة، قتله ابنه أبو عُبَيْدَة بعد أن ابتعد عنه فلم يرجع.

وأما شهداء بدر الأربعة عشر فمنهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فمن المهاجرين: عُبَيْدَة بن الحارث وعُمَيْر بن أبي وَقَاص، ومن الأنصار: عَوْف ومُعَوّذ ابنا عَفْراء الخَزْرَجِيَّان، وهما اللذان قتلا أبا جهل، ومنهم سعد بن خَيْثَمَة الأوْسِيّ أحد النُّقَباء في بَيْعَة العَقَبَة (درس 6).

وهذه الغزوة الكبرى التي انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر، مع قلة عَدَدِهم وعُدَدِهم وكثرة عَدَدِ العدوّ وعُدَدِه، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى بالمسلمين الصادقي العزيمة، الممتلئة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى وثقة بما وعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفوز والنصر.

ولقد دخل بسببها الرعب في قلوب كافة العرب، فكانت للمسلمين عزاً وهيبة وقوة، والحمد لله رب العالمين.